وضع شيء على صفة يراد بها الثبوت واعلم ان اول
بيت بني الكعبة قال الله تعالى ان اول بيت وضع للناس
الاية واول من بناه الملائكة وذلك ان الله قال للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة اي قوما يخلف بعضهم بعضا او ادم يعني
خليفة بامري او عن الملائكة او عن الجن فقالت الملائكة أتجعل
خليفة من غيرنا من يفسد فيها ويسفك الدما ويتحاسدون
ويتباغضون رب اجعل هذا الخليفة منا فنحن لا نفسد فيها
ولا نسفك الدما ولا نتباغض ولا نتحاسد ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك ونطيعك ولا نعصيك قال الله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فظنت
الملائكة ان قولهم رد على ربهم عز وجل وانه قد غضب عليهم من
قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤسهم واشاروا بالاصابع يتضرعون
ويبكون اشفاقا لغضبه فطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر
الله تعالى اليهم فنزلت الرحمة عليهم ثم قال لهم طوفوا بهذا البيت
اي المعمور ودعوا العرش فطافت الملائكة به وتركوا العرش فصار
اهون عليهم ثم ان الله تعالى بعث ملائكة فقال ابنوا لي بيتا
في الارض بمثاله وقدره فامر الله تعالى من في الارض من
خلقه ان يطوفوا به كما يطوفون اهل السما بالبيت المعمور وقوله
وبال على صاحبه اي سوء عاقبة عليه يوم القيمة لانه يشغله
عن اداء الواجبات ويزين له الحياة ويجنبه الممات وقوله
الا المسجد اي فلا وبال فيه على صاحبه لانه احب الاماكن
الى الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم احب البلاد الى الله مساجدها
وابغض البلاد الى الله اسواقها ولذا وعد الله سبحانه وتعالى
بانيه بالثواب الجزيل فقال صلى الله عليه وسلم ابنوا المساجد واخرجوا
القمامة منها اي الكناسة فمن بنى لله بيتا اي مكانا يصلي فيه
بنى الله له بيتا في الجنة وانما عبر بالبيت ولم يعبر بالعشر لان
الحسنة الواحدة قد ترجح على حسنات كثيرة وهذا كما قيل ثمرة
حسنة من حسنات ابي بكر فكما ان ما بناه يفوق بيوتا كثيرة

من

من بيوت الدنيا بل يفوق سائر بيوت الدنيا فكذلك هذا البيت
الذي يبني له في الجنة يفوق سائر بيوت الجنة ومما يحصل
التنكير انه يدل على التعظيم وقال صلى الله عليه وسلم سبع
يجري للعبد اجرهن وهو في قبره بعد موته من علم علما او اجرى نهرا
او حفر بيرا او غرس نخلا او بنى مسجدا او ورث مصحفا او ترك
ولدا يستغفر له بعد موته ثم ان ظاهر هذا الحديث تحريم ما بني
من غير المساجد وليس كذلك ويجاب بانه محمول على ما زاد على
الحاجة وكان للخيلا والتفاخر او على ما اشتمل على فعل محرم او ترك
واجب وعبارة الرملي في شرحه والزيادة في العمارة على الحاجة
خلاف الاولى وربما قيل بكراهتها اي ما لم يقصد بها اتفاق مقصد
صالح كما هو معلوم ولا تكره عمارة لحاجة وان طالت والاخبار الدالة
على منع ما زاد على سبعة اذرع وان فيه الوعيد الشديد محمولة
على من فعل للخيلا والتفاخر على الناس انتهت واذا علمت ان
المسجد هو احب البقاع اليه ينبغي ملازمتها وتعلق
القلب بها فقد ورد في ذلك اخبار منها ما رواه ابن عدي عن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اراد الله بقوم عاهة
نظر الى اهل المساجد فصرف عنهم اي اذا اراد بهم افة او بلية
في الدنيا او الاخرة نظر اليهم نظر احترام واكرام فيصرف عنهم
ذلك اكراما لهم واعتناء بهم والمراد باهل المساجد الملازمون
لها والتردد دون اليها لنحو صلاة او اعتكاف او علم ومنها
ما رواه الامام احمد عن ابن خزيمة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد اي وجدتم قلبه معلقا بها
منذ حين ما يخرج الى ان يعود اليها لنحو صلاة او اعتكاف فاشهدوا
له بالايمان فان الله يقول انما يعمر مساجد الله من امن بالله ومنها
ما رواه ابو يعلى عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان عمار بيوت الله هم اهل الله اي ان الملازمين للمساجد بالذكر
والاعتكاف ونحوها هم حزب الله اي جنده وانصار دينه الفايزون